الإطـــــار المفهـــومي للعلمنـــة

مهدي النجار

تواجه المفاهيم الحديثة خاصة الغربية صعوبات جمة لكي تتبيأ في وسط الثقافة الإسلامية العربية ، تصطدم أحياناً هذه المفاهيم بردود أفعال طاردة ، عنيفة لأنها تعني في نظر الكثيرين تهديداً خطراً للنظام المعرفي الذي استورثوه وألفوه كذلك إلغاء حقيقة الخطاب السائد ومفاهيمه التراثية والركون إلى خطابات أجنبية مستوردة ،

حتى إن البعض يعتقد أن ما يقترح عليه من مفاهيم حديثة صار تداولها والتعامل بها في الحقول الفكرية والسياسية والاجتماعية ضرورة مثل ضرورة تعاملنا بمفاهيم التقنيات والحضارة والعلوم الطبيعية والتجريبية، يعتقدون إن هذه المفاهيم تعني التخلص من القيم الاجتماعية والدينية وكل أنواع التراثات وتساهم في تصفية الهوية الثقافية وتخترق العادات والأعراف والأخلاق التي تعود الناس عليها، إيمان العوام، حسب تعبير الغزالي، على الأرجح إن مثل هذه الاعتقادات تميل إلى سكونية مستمرة وانغلاق صارم ونبذ مسبق لمفاهيم الآخر دون فحصها أو نقدها.

إن العلمانية اكتشاف حديث العهد، وهي شأنها شأن كثير من المفاهيم ليست لها جذرية مفهومية أو فكرية أو لغوية في الثقافة الإسلامية العربية لذا من الصعب من خلال هذه الثقافة أن ندرك ماذا تعني، حيث بدأت ترد وتروج باستخدامات مفرطة في خطاباتنا اليوم وفي جميع الخطابات الإسلامية العربية كإشارة إلى دولة علمانية، مجتمع علماني، أحزاب علمانية، صحف علمانية، أشخاص علمانيين.. الخ. وقد يقشعر البعض حين سماعها باعتبارها ضد الدين أو يساويها في الألحاد أو يصنفها مع النزعات المتطرفة اللا دينية، إن هذا نعتقده غير صحيح فإيجازاً العلمانية تعني محايداً تجاه الدين (areligieu الفرنسية) بالإحالة إلى العالم، الكون أو العالم المحسوس وهي تتأرخ ضمن القرن الثامن عشر أبان دعوة مارتن لوثر وحركة الإصلاح الديني التي تمثلت بإنجازها الأهم في القضاء على سطوة الكنيسة في الحياة وتحرير العقل من الكنيسة ومن رجالها، لذا فهي تتضمن وفق هذه السياقات التي تأقلمت فيها والتي كان الدين ماثلاً في الكنيسة، تتضمن الفصل الصارم بين ما هو سياسي وما هو ديني إلا إن مؤرخا مثل برنار لويس يعتبر من وجهة نظره إن بذرة العلمانية "إنما وجدت في خصوصية الكنيسة نفسها، وبالتحديد في التمييز بين ما للإله وما لقيصر، غير إن هذه البذرة كان عليها إن تنتظر أكثر من خمسة عشر قرناً وبعض الحروب الدينية كي تبرز" ويرجع محمد أركون (قضايا في نقد العقل الديني) تاريخها إلى القرون الوسطى، بل إلى تاريخ الفلسفة اليونانية الكلاسيكية في عهد أرسطو طاليس وفي عهد أفلاطون باعتبار العلمانية موقفاً معرفياً، فلسفياً مبنياً على الوظيفة الأساسية التي يقوم عليها العقل البشري، هي وظيفة التساؤل، وظيفة وضع الإشكالات فيما يتعلق بجميع مستويات الحياة البشرية، إننا لا نميل إلى مثل هذه الأرخنة المفتوحة التي يأخذ بها محمد أركون وإلا ما المانع من تأويل ابن رشد واعتباره رائداً من رواد العلمنة بتأكيده الحازم على الفصل بين الشريعة والفلسفة، بين العقل والنقل، إنما نرجح مع القائلين بأنبثاق العلمانية من عهد تحرير الكنيسة من وظائفها السياسية أو بشكل أوسع وظائفها الزمانية. ويشدد محمد أركون على إن العلمانية "لا تعني القضاء على الدين كما توهم البعض وإنما تعني احترام الدين وعدم زجه في كل شاردة وواردة كما يفعل الأصوليون القروسطيون". إن الأمر الجوهري في المفهوم العلماني وفي تطبيقاته العلمية الحديثة عموماً، ليس إقصاء ما هو ديني، بل تغيير نمط حضوره ونشاطه، فبدل أن يعتبر نسق تعليمات جامدة تتعمق بالتفصيل في ميكانيزمات النظام الاجتماعي، ينبغي أن يعتبر منبعاً للضوابط الأخلاقية والتوجهات الروحانية، لكن بسبب عدم امتلاك المجتمعات الإسلامية العربية الحد الأدنى من التوازن الاجتماعي أو الرفاه الاقتصادي و التطور المعرفي والثقافي فهي تقع في التباسات وسوء تفاهمات فكرية لا يمكنها ان تسمح بتطبيق هكذا مفاهيم معرفية مثل العلمانية تقف مواقف نقدية وتفحصية على تراثها وأنظمتها السياسية. ويتصور جوزيف مغيزل (لبنان من الطائفية إلى العلمنة) بأن العلمنة، بفصلها الدين، كأيمان وأخلاق، عن الدولة، عن السياسة وأسباب التباعد والانقسام، تنقذه، تعيده إلى اصالته، إلى دوره الأخلاقي، إلى صفائه الرباني. إن المؤمنين الكاملين يجب أن يكونوا هم دعاة العلمنة الأوائل".

إن حيادية السلطة إزاء الدين تتمثل في المنظور العلماني بعدم تدخل الدولة في شؤون الدين، فعلى الدولة أن ترضى بأن تنظم الأديان أمورها ومؤسساتها كما تشاء بشرط ألا يؤدي ذلك إلى الإخلال بحريات الغير وحقوقهم وبالنظام العام والآداب العامة والسلام الوطني، ويقر النظام العلماني بأن يمارس المؤمن شعائر دينية بحرية وعلناً دون أن يمس بذلك حرية سواه ويسيء إلى الراحة العامة والأمن العام وأن يعبر الناس عن معتقداتهم بحرية دون مضايقة كتابة وكلاماً في حدود احترام كل منهما الآخر.

بغداد. تشرين الثاني ٢٠٠٤

الشاعر مؤيد حنون ... أفق توقع العبارة

خالد خضير

يتطلب التلقي، برأينا، درجة من الآلية المستسلمة (للعبة المدركات الحسية)، وهي لعبة تتيح التمثل السلبي لحفريات النص، كما يتم تمثل حفريات الجدران والسماء الملبدة بالغيوم باعتبارها واقعة بصرية أو نصية على حد سواء. ولقد أثبت فرانكلين روجرز أن لعبة التعامل مع الحفريات (اللقى البصرية) لعبة (عرفها واستخدمها إنسان عصور ما قبل التاريخ، وإلى زمن يرجع إلى ٣٥٠٠ عام ق.م) وإن (لعبة المدركات الحسية) تهيئ عملية التلقي لأن تكون (إنصياعاً لأقدار النصوص)، كما يصفها الناقد الدكتور حاتم الصكر، وهي تهدف إلى تفعيل الطاقة التعبيرية لمتعرجات سطح النص، ونقصد بها الصور الشعرية والدلالات، وبما يشبه استثمار بقع - حبر (روشراك) أو مفروكات ماكس آرنست أو لعبة اكتشاف الأشكال في الغيوم والجدران القديمة، فتكون القراءة نفخاً للروح (في جثث الكلمات الراقدة في سلام) النص، "تستعيد حياتها التي فارقتها بالفراغ من الكتابة".

إن لعبة كهذه تروق، كما سنرى، للشاعر الشاب مؤيد حنون، حينما دون ديوانه (متعة القول) الصادر في صنعاء عام ٢٠٠٢، إلا أنه يوظفها بطريقة مختلفة، حيث يبث أجزاءً من متعرجات صوره بشكل يدعو القارئ إلى أن يبني أفقاً من التوقع الذي يعتمد عليه في التقاط، وإكمال أجزاء تلك المستحقات، لكن الشاعر مؤيد حنون، وفي احترام تلك التوقعات، يشاكس قارئه حيث يخرب اطمئنانه الخادع في بناء نسقية الصورة (العبارة) التي كان قد اعتمد فيها على ما بثه الشاعر من موجهات نصية، فإذا به يعمد إلى كسر أفق التوقع الذي كاد يكون وشيكاً، وهدفاً محدداً خلقه جزء الصورة (والعبارة) الأول الذي بثه الشاعر عامداً لخلق حالة التوقع، وهو توقع خلق (وقعاً) في نفس القارئ، يصفه الناقد حاتم الصكر بأنه "إيهام يخلق لحظة الوهم التي ينشأ في خصائصها الشعر، ومضة تستدعي رؤيتها وجود حواس بكر، لا تتمثل لما زودت به من علم سابق"، وهو علم خلقه نمط من التواطؤ الاجتماعي المسبق بين المتعاملين بنسق لغوي وثقافي سائد ومحدد بمعارف مسبقة وراسخة، وبذلك يكون أفق توقع المتلقي متجهاً نحو تسلم سياق هو الأكثر توقعاً لجزء الصورة الثاني.

يبدو أن مؤيد حنون يفهم مسألة الإزاحة الشعرية بكونها تحقيق قدر من كسر لسياق التوقع يحدث في منطقة الدلالة أكثر ما يقع في منطقة الشكل (اللغة)، وبذلك يكرس جهده لأحداث تلك الإزاحة باعتبارها الكفيلة بتحقيق (الشعرية). إن الأمر مماثل لنمطين من العمليات الحسية الإدراكية: الأولى: البحث في آثار السطح (النص) وهو ما نسميه (متعرجات النص) عن أشكال تتطابق وأشكال العقل (أفق التوقع الشكلي)، والثانية، حدوث إدراك بفعل هيمنة ثقافية تماماً مثلما يتم توقع شكل مثلث خفي يوصل ثلاث نقاط قريبة من بعضها على صفحة بيضاء، بينما قد تكون في واقع الأمر واقعة على محيط دائرة، أو ربما لا وجود لأي محيط لكي تقع تلك النقاط عليه، وهذا ناتج من هيمنة قواعد الهندسة الإقليدية على العقل البشري.

يبدأ مؤيد حنون لعبته منذ عنوان ديوانه الذي يؤلفه من جزأين، يوحي أولهما (متعة) بنمط من المتع التي لا يمكن أن يكون (القول) أحدها، والأمر ذاته يصدق على عنوان أولى قصائد ديوانه، حيث يلتبس الأمر على المتلقي حين يستقبل لفظه الأول (قائمة) والتي توحي مباشرة بجملة من العناصر المادية، كما في قوائم الطعام أو المشتريات أو الأسماء أو نحو ذلك، بينما هي عند مؤيد حنون (قائمة من الذكريات).

من يتوقع ما تحتويه الحقائب غير الملابس وأدوات الحلاقة والجوارب. لكن لنفتح حقائب مؤيد حنون ونرى:

".. الحقائب / أفتح واحدة "تخرج الأشجار / الشوارع / رائحة البيت / أدوات الحلاقة / والأصدقاء أيضاً"
(قائمة من الذكريات)

وأيضاً تعني الحقائب عند مؤيد حنون أشياء أخرى فهي (خزانة الذكريات) وهي عالم يحكم فيه بمفرده!

وما الذي توحيه (مساحيق) المرأة غير أن تكون أدوات تجميل لوجوه النساء؟:

"برشاقة أصابعي / وبمساحيقك المهملة / التي كثيراً ما تتشاجرين / معي حين ارسم بها / امرأة شاحبة"
(قائمة من الذكريات)

وربما تكون تلك المرأة الشاحبة هي ذاتها المتلقي الافتراضي الذي يبث لها الشاعر الخطاب. القطار يلاحق الشاعر والقطار لا يمكن أن يلاحق أحداً:

"سوف أقول كل شيء / وجوه خالية من الملامح / تزفني لمحطات لا تؤدي / القطار يلاحقني / أجري / وحين تشبث بي / ركلني أحدهم / فسقط القطار مني"
(قائمة من الذكريات)

وقد تكون الأرضة قادرة على أكل سلالة الشاعر:

"قبعتان وعصا / كل ما استطعت أن الحق به / من سلالتنا التي أكلتها الأرضة"
(قائمة من الذكريات)

وقد يلقم أحدنا كرزا بدل القبلات:

"عابر يختلي بأنثاه / في الهزيع الأخير من الأغنية / يقول عنها الكثير / وتقول / ما يملأ فمه بالكرز"
(أغصانك على النافذة)

هل يمكن أن ينكسر الماء والجرة سالمة، تلك هي القيمة عند مؤيد حنون:

"الغيمة / الجرة بمائها المنكسر"
(مسرات الكائن)

وهل يمكن احتساب العمر بغير السنوات، يبدو أن لدى مؤيد حنون معياراً لعد سنوات العمر:

"للأب الذي انطفأ آخر غليون / من عمره / ولم يعد ينتظر عودتي آخر الليل"
(ما الذي تقوله عني يا أيون)

هناك طرق بذراع واحدة! لدى مؤيد حنون أيضاً:

"الطريق / يشبهك / حين / خرجت / من الحرب / بذراع واحدة / وأصدقاء التهمتهم المدن"
(أنا أكثر دهشة)

لمؤيد حنون ما يمكن أن نطلق عليه (تعريفات) تكسر التوقع بقوة، أو هي (حكم) على نسق سفر الحكمة.

"في الأفق فتاة تخبز أحلامها"
أما أكثر دهشة)

"المغفرة خطيئة الذنوب"
(أنا أكثر دهشة)

"الماء من نعومة النهر"
(مسرات الكائن)

"الأحلام وحدها تفيض من السرير"
(أنثى البعيد)

"أشيعك بيدين من حزن"
(أنثى البعيد)

"ما يفيض من النهر قلبه الكبير"
(ما الذي تقوله عني يا أيون)

"العالم أكبر من قبر سينحشر في أو انحشر فيه"
(أنا أكثر دهشة)

"ازرع في الشجاعة وأحصد عويلاً"
(أنا أكثر دهشة)

"الغياب حضور في مكان ما"
(أنا أكثر دهشة)

"حياة يجرها خلفه كحصان"
(أنا أكثر دهشة)

وبعض الصور تبدو لديه ذات بريق خاص:

"قطيع من النوافذ" (لافتة)

"رسائل لا تبعث بالبريد" (لافتة)

"الاعتراف خطيئة أخرى" (قداس)

"الشمس تجفف الشتائم" (قداس)

"كلما اتسعت الحرب تضيق البلاد"
(نهايات سيئة)

وهي تتناقص ومقولة أحمد عبد الجبار النفري "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"

؟!

خليل الأسدي

**❖أنا تائه حقاً..
فعذراً..
أين الطريق إلى العراق؟!
- خذ أي خيط دم...
يقدك..
خذ أي تاريخ مراق..
تصل العراق...**

المسلمون في بريطانيا يلجأون إلى شكسبير

يستعين مسلمو بريطانيا بالشاعر البريطاني وليام شيكسبير في تحسين صورتهم. ورغم ان شيكسبير كان مسيحيا أبيض وانه مات قبل ٤٠٠ عام فقد صار هذا الاسبوع محور اسبوع للوعي الاسلامي في محاولة لتسليط الضوء على اسهام مسلمي بريطانيا البالغ عددهم ١,٨ مليون نسمة في المجتمع. وفي اطار هذه الحملة يجري عرض صور متنوعة للثقافة الاسلامية على الجدران الخارجية لمسرح (ذا جلوب) وهو مسرح شيكسبير المفتوح على ضفاف نهر التيمز.

ويضيف المسرح وهو صورة طبق الاصل لمسرح من العصر الاليزابيثي سوقا عربية وحفلا تتلى فيه اجزاء من نسخة نادرة من مسرحية (عطيل) وهي مأساة صور فيها شيكسبير نبيلا مغربيا قاتل من أجل مدينة البندقية المسيحية. وقال الشيخ حمزة يوسف وهو احد العلماء المسلمين وسيلقي محاضرة عن شيكسبير والاسلام في مسرح ذا جلوب هذا الاسبوع "مسرحيات شيكسبير ليست بشأن الخير مقابل الشر ولا بشأن عالم (أنت فيه اما معنا او علينا)." واضاف "شيكسبير يرفض الانغماس في هذه الرسوم الكاريكاتورية للخير والشر. مسرحياته أكثر تعقيدا من ذلك." ويقول يوسف انه سيكون من الافضل للمسلمين البريطانيين الشبان ان يهتموا بالمعاني العميقة في كلمات شيكسبير اكثر من الرسائل التي تخدش الاذان التي يلقيها عليهم سياسيون وزعماء دينيون. وقال يوسف لرويترز في مقابلة في مسرح ذا جلوب "الشعراء لديهم قدر هائل مما يمكن ان نتعلمه منهم... اننا نستمع كثيرا الى مهندسينا الاجتماعيين وعلمائنا الاجتماعيين ولا نستمع بالقدر الكافي لشعرائنا." ولا يبدو شيكسبير للوهلة الاولى شخصية تصلح لان تكون محور حملة من أجل التسامح الديني. فشخصية شايلوك المرابي الجشع في مسرحيته (تاجر البندقية) مثلا كثيرا ما يوجه اليها اللوم في تعزيز الصورة الذهنية النمطية لليهود واذكاء العداء للسامية.

وتحفل مسرحيات شيكسبير التي كتبت في عصر صراع ديني وقبل وقت طويل من مقدم الرشاد السياسي بالشخصيات التي تظهر ما يمكن ان يتوقعه المرء من المواطن العادي في العصر الاليزابيثي من عدم ثقة بالاجانب. لكن يوسف وهو امريكي اعتنق الاسلام ويرأس مؤسسة اسلامية في كاليفورنيا يقول ان تصوير شيكسبير للمسلمين ليس معاديا تماما.

وعطيل نبيل وجندي ذو خلق واستقامة يقود معركة البندقية ضد الاتراك المسلمين قبل ان يتعرض لخديعة قاتلة من ياجو الشرير المسيحي اسما.

والامير المغربي في (تاجر البندقية) شخص عريق المحتد يتقدم لخطبة بورشيا بل وارون المغربي الشرير في مسرحية (تيتوس اندرونيكوس) لا يخلو من ملامح جديرة بالاعتبار.

ويقول يوسف الذي اعتنق الاسلام وهو بعد صبي ان انجلترا البروتستانتية في العصر الاليزابيثي كانت تنظر الى المسلمين نظرة حميدة نسبيا اذ كانت تعتبرهم حلفاء طبيعيين في معركتها ضد اسبانيا الكاثوليكية. وقال "من المثير ان الشريرين الاثنين في مسرحية عطيل .. ياجو وروديريجو .. اسماهما اسبانيان وليسا من الاسماء التي تنتسب الى البندقية."

واضاف "أعتقد حقا ان شيكسبير كان يدعو في هذه المسرحية الى تحالف مع المغرب ضد الاسبان." وأيا كانت نوايا شيكسبير قبل ٤٠٠ عام فمنظمو احداث هذا الاسبوع يرون ان ميراثه يمكن ان يساعد على تحسين العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين وهي علاقات تعرضت لضربات منذ هجمات ١١ ايلول عام ٢٠٠١ على الولايات المتحدة.

وقال شفيق صادق منسق اسبوع الوعي الاسلامية "شيكسبير جزء من تراثنا." واضاف "مسرحياته تذكرنا بالمجتمعات العالمية التي نعيش فيها والحاجة الى الاحترام وحسن النية."

الحفاظ على الهوية في مؤتمر صنعاء

أعلنت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن المؤتمر الدوري لوزراء الثقافة العرب سيعقد أعمال دورته الـ ١٤ في العاصمة اليمنية صنعاء في الأول من كانون الأول المقبل والثاني منه.

وأوضحت المنظمة ومقرها تونس في بيان لها صدر اليوم أن المؤتمر سيركز على "دور الثقافة في الحفاظ على الهوية العربية".

ويشارك في المؤتمر وزراء ثقافة معظم الدول الأعضاء في الجامعة العربية (٢١ دولة فضلا عن السلطة الفلسطينية) ومندوبون عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو).

ومن المواضيع المدرجة على جدول الأعمال "المؤسسات الثقافية في مدينة القدس ومحاولات طمس الهوية" و"الأوضاع الثقافية في الدول العربية" و"الخطط القومية والاتفاقيات الثقافية" و"مشروع الاتفاقية العربية لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة" و"مشروع اتفاقية السوق الثقافية العربية المشتركة" و"مشروع الخطة القومية للسياحة الثقافية في الوطن العربي" إلى جانب "مشروع إنشاء قناة فضائية ثقافية عربية مختصة".

وذكر متحدث باسم وزارة الثقافة اليمنية أن الوزراء العرب سيطلعون خلال اجتماعهم على بعض من ملامح المشهد الثقافي باليمن من خلال زيارة عدد من الفعاليات الثقافية التي يتزامن تنظيمها مع عقد المؤتمر مثل معرض الفن التشكيلي اليمني ومعرض إصدارات صنعاء.

ومن المتوقع أن يشكل خلال المؤتمر مكتب اللجنة الدائمة للثقافة العربية.

وكانت الدورة الثالثة عشرة للمؤتمر قد انعقدت في العاصمة الأردنية عمان في تشرين الأول ٢٠٠٢ تحت عنوان "السياسات الثقافية من أجل التنمية في الوطن العربي".

مهرجان القاهرة السينمائي بمشاركة ٤٩ دولة

أبدت أوساط سينمائية مصرية تخوفها من تزامن انعقاد مهرجان القاهرة السينمائي الدولي مع إقامة مهرجانين آخرين في الوقت نفسه هما دبي السينمائي الأول ومهرجان مراكش، مما سيكون له عظيم الأثر في غياب بعض نجوم السينما المصرية.

وقال مسؤول العلاقات الخارجية في وزارة الثقافة شريف الشوباشي إن المهرجان في دورته الـ٢٨ المقرر انعقادها في ٣٠ تشرين الثاني الحالي ستشارك فيه ٤٩ دولة بنحو ١٨٠ فيلما.

ومن بين الدول المشاركة خمس دول عربية ثلاث منها تدخل المهرجان بصورة رسمية ودولتان تشاركان بأفلام خارج المنافسة.

وأشاد الشوباشي بالمؤتمر قائلا إنه "الوحيد الذي يتمتع بصبغة دولية ويكتسب قوته من وجود صناعة حقيقية للسينما في مصر ولا يقارن بمهرجانات أخرى تعقد في دول لا يتعدى إنتاجها الفيلم الواحد في السنة".

ويشارك في المسابقة الرسمية للمهرجان ١٩ فيلما بينها ثلاثة أفلام مصرية هي "أنت عمري" للمخرج خالد يوسف و"خالي من الكوليسترول" للمخرج محمد أبو سيف وثالثها "الباحثات عن الحرية" لإيناس الدغيدي.

أما الدول العربية الأخرى فتشارك المغرب بفيلم "ذاكرة معتقلة " لجلالي فرحات وتونس بفيلم "الأمير" لمحمد زرن. ويضم المهرجان أيضا قسما عن السينما الجديدة تشارك فيه كل من الجزائر ولبنان والبحرين وتونس والمغرب.

وتشارك الدول الأجنبية بأفلام من كل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا والأرجنتين واليونان والمجر وإيران والهند وروسيا وسلوفاكيا وتركيا وإسبانيا، في حين تتغيب الأفلام الأميركية والبريطانية "لأسباب فنية".

يشار إلى أن لجنة التحكيم تضم في عضويتها الناقد السوري محمد الأحمد والمخرج المصري نادر جلال والممثلة المصرية بوسي والمخرج البلجيكي جيرار كوربيو والممثلة الفرنسية إيما دوكون والممثلة اليونانية كاترينا ديداسكالو والمخرج الروسي كارينشاخنازروف والمخرج المجري كان توجاي.

يذكر أن مهرجان دبي الأول سينعقد في السادس من الشهر المقبل أي قبل أيام فقط من اختتام مهرجان القاهرة وهو الأمر الذي قد يرجح مقاطعة بعض نجوم السينما المصرية لحفل ختام مهرجان القاهرة.